مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

The Impact Of The Environment On The Poets Of The First Abbasid Era، (Images And Meaning)

Assistant teacher: Baqir jlwy alwan / University of Fallujah، College of administration economics / baqir-jlwy@uofallujah.edu.iq/ 07733654299

Abstract: The environment has occupied a prominent position in the literary text until its subject became a key to the text and deciphering it by searching the secrets of these poetic texts and the environment at the same time. As far as my specialization as concerned my reading of poetic texts led me in the first Abbasid era to delve into the knowledge of the most important influences and components of this poetry. A careful look at these texts reveals to us a fact on which no two disagree it is the reality of the environment and its great impact on the refinement and formation of the poet's personality on the one hand، as well as casting a shadow over the poet's linguistic dictionary and the meanings، significance and expressions of poetry this fact refers to the specificity of the impact of the environment and its role in determining the characteristics of poetry and understanding its movement as pointed out by a number of critics، these and other motives focused my attention on this subject and made it a special starting point from which to research the issue of the environment، poetry and the sign between them.

Keywords: (**environment، Abbasid poetry، relationship، influential aspects**).

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

أثر البيئة في شعراء العصر العباسي الأول (صورٌ ومعانٍ)

م.م. باقر جلوي علوان / جامعة الفلوجة / كلية الإدارة والاقتصاد / baqir-jlwy@uofallujah.edu.iq / ٠٧٧٣٣٦٥٤٢٩٩

الملخص:

لقد احتلت البيئة مكانة بارزة في النص الأدبي حتى أصبح موضوعها مفتاحًا لذلك النص وفك مغاليقه عبر البحث في خبايا تلك النصوص الشعرية والبيئة في آن واحد، و بحكم اختصاصي فقد قادتني قراءتي للنصوص الشعرية في العصر العباسي الأول إلى التعمق في معرفة أهم مؤثرات ومكونات هذا الشعر، وإن نظرة متأنية لتلك النصوص تُجَلّي لنا حقيقة لا يختلف عليها اثنان وهي حقيقة البيئة وأثرها البالغ في صقل شخصية الشاعر وتكوينها من جهة، فضلًا عن كونها ترمي بظلالها على قاموس الشاعر اللغوي ومعاني الشعر ودلالته وألفاظه، تلك الحقيقة تحيل إلى خصوصية أثر البيئة ودورها في تحديد مميزات الشعر وفهم حركته كما أشار إلى ذلك عدد من النقاد، هذه الدوافع وغيرها ركزت اهتمامي على هذا الموضوع وجعلته منطلقًا خاصًا يمكن من خلاله البحث في قضية البيئة والشعر والعلاقة بينهما.

الكلمات المفتاحية: البيئة– الشعر العباسي– علاقة البيئة بالشعر– الجوانب المؤثرة.

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

أثر البيئة في شعراء العصر العباسي الأول (صورٌ ومعانٍ)

م.م. باقر جلوي علوان
جامعة الفلوجة / كلية الإدارة والاقتصاد.

المقدمة

(الإنسان ابن بيئته) مقولة شائعة وصحيحة ودقيقة، وقد قادتني هذه العبارة إلى تتبع أثر البيئة في الشاعر على وجه الخصوص، وعلاقتها بعمليات الوعي وخصائص الشعر في تلك البيئة وعلاقة وفاعلية كل طرف في الآخر، لتكوّن اعتبارين ودافعين: ذاتي وموضوعي كان لهما الدور الأساس في اختيار موضوع الدراسة، أما الدافع الأول فكان دافعًا ذاتيًا من خلال الدور البارز الذي تلعبه البيئة في الشعر، وأمّا الجانب الموضوعي فتمثل في خلو أدب العصر العباسي من هذه الدراسة الوافية في إطارٍ من المنهجية المستقلة، إلَّا ما كان من بعض المقالات المتناثرة التي قد تعنى ببعض الجوانب وتهمل الأُخرى، الأمر الذي أفقدها الشمولية، فمن هذا الموضع تحاول هذه الدراسة أن تكشف عن قيم البيئة الجمالية منطلقًا من تحليل الظواهر اللغوية والفنية التي جاءت مصاحبة لتلك النصوص.

تبعًا لذلك فقد انطلق منهج هذه الدراسة معتمدًا محورين: أولهما الاستقراء الدقيق للنصوص الشعرية كمرحلة أولى، في حين تمثل المحور الثاني بمرحلة عرض النصوص الشعرية وتحليلها المتضمنة دور البيئة في تلك النصوص.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في التعريف بمفهوم البيئة وعلاقتها بالشعر، والوقوف على السمات والخصائص وكيفية تشكلها داخل النص الشعري من خلال الظواهر الموضوعية والفنية التي فرضت نفسها على النص الشعري، والوقوف على العوامل المؤثرة فيها، التي تتنوع ما بين مؤثرات اجتماعية وثقافية وسياسية. وبما أن النص الشعري في عمقه هو ممارسة ثقافية فإنَّ عملية إدراكه وفهمه لن تكون بمعزل عن سياقه الثقافي والاجتماعي والسياسي، وهذا السياق لا يتأسس إلَّا وسط البيئة التي نشأ من خلالها النص الشعري ، كونها تعدُّ منفذًا مهمًا للولوج إلى عالم النص الشعري والاستعانة بها في فهم علاقة البيئة بالشعر وفهم حركته.

فجاءت خطة هذه الدراسة مشتملة على مبحثين يسبقهما ملخص للبحث وهذه المقدمة حيث جاء المبحث الأول على مطلبين تضمن المطلب الأول: مفهوم البيئة لغة واصطلاحًا، ثم جاء المطلب الثاني مبينًا علاقة البيئة

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

بالشعر ودورها في إبداع التصوير وسعة الخيال، والذي كان أقصر من المبحث الثاني؛ لما تضمنته ضرورة البحث، ثم جاء المبحث الثاني منها متضمنًا علاقة البيئة بالذات الشاعرة، حيث ألقت جوانب هذه البيئة بظلالها على ذات الشاعر وصوره ومعانيه التي انعكست بصورة مباشرة على قاموسه اللغوي، فتناول المطلب الأول دور البيئة في تكوين الذات الشاعرة وانعكاسها على بنيته اللغوية والفكرية، في حين جاء المطلب الثاني مبينًا أثر البيئة في البنية السلوكية للذات الشاعرة وانعكاسها على صوره الواقعية، تعقبهما خاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ثم قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم البيئة وعلاقتها بالشعر.

المطلب الأول: مفهوم البيئة لغة واصطلاحًا:

لغة: إنَّ المتتبع للفظة البيئة من جانبها اللغوي في شتى المعاجم اللغوية يجدها تدور في فلك واحد، وهو المنزل أو المكان، وجميعها تحيل إلى البيئة مكانًا ومستقرًا.(١)

– اصطلاحًا: إنَّ دراسة الظواهر الأدبية والإبداعية سواء كانت شعرية أو نثرية، تقتضي بالضرورة تعميق الرؤى وملامسة جوانب مختلفة من بنية النتاج الأدبي الداخلية والخارجية ((وَيُقَال بيئة طبيعية، وبيئة اجتماعية وبيئة سياسية)).(٢) فالبيئة قضية مهمة لها تأثيرها من ناحية المكان والأشخاص. فقد عرَّفها بعضهم بأنها: ((مجموعة العوامل والظروف الطبيعية، والاقتصادية، والاجتماعية، وحتى الجمالية التي تحيط وتؤثر في رغبة وقيمة الملكية، وتؤثر

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري الفارابي– ٣٧/١. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ٣١٣/١. المحكم والمحيط الاعظم، ابو الحسن: ٥٦١/١٠–٥٦٢. ينظر: لسان العرب: لابن منظور: ٣٨٢/١. ينظر: تاج العروس: ١٥٥/١.

(٢) المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين: ٧٥/١

(٣) البيئة ومفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، رجاء دويدي: ٢٧

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

في حياة الناس)).[١] وقد جعلنا من هذا التعريف منطلقًا لإرساء قواعد هذا البحث لتتبع الأثر البيئي داخل النصوص الشعرية في العصر العباسي الأول ضمن نطاق بيئة معينة يتفاعل معها الشاعر ويتأثر بمظاهرها، كون هذا العصر قد شهد نقلة نوعية على أكثر من صعيد، من حياة البادية وقساوة الصحراء إلى حياة التمدن والحضارة والعمران والتوجه الثقافي والمعرفي.

– المطلب الثاني: العلاقة بين البيئة والشعر وأثرها في توليد المعاني وإبداع التصوير.

عند الحديث عن هذا المصطلح نجده قد ارتبط بأنماط من التفاعلات بين الإنسان وبيئته، والتي تؤسس بدورها نمطًا فكريًا ذا خصوصيةٍ نابعة من ارتباط الإنسان ببيئته وما يحيط به من مظاهر خارجية وكيفية استخدامها، وبما أنَّ البيئة تنقسم إلى طبيعية وبشرية، فإنَّ البشرية تتفرع أيضًا إلى بيئة اجتماعية وسياسية واقتصادية، إذ أصبح هذا المصطلح يحقق شمولية من خلال تلك العلاقة والتفاعل ما بين الشعر والبيئة من خلال تتبع أنماط التفاعل وإمكانية استغلالها داخل النص الشعري، وبيان أثر تلك التفاعلات بواسطة الشعر بِعَدّه أداة بارزة من أدوات التفاعل، وربط تلك العلاقة ما بين الإنسان وبيئته.

ومن خلال تلك الأداة يمكننا ملامسة أثر هذا التصور في إبراز طبيعة العلاقة بين الشعر والبيئة محاولين الكشف عن إمكانية ذلك التفاعل وحجمه من خلال فتح منافذ من النور التي تزيل تلك العتمة في النص الشعري مع التقيد بإطاره الإبداعي والجمالي، وإظهار الجوانب التي تسهم بصورة فاعلة وحقيقية في تأسيس الشعر، كالجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية، ودور تلك البيئة في رسم أُطر خيال الشاعر وإبداعه؛ إذ تسعى الدراسة من خلال تلك الأداة إلى البحث عن علاقة الشعر بالبيئة، وكيف أن الشعر يمثل مرآة البيئة وانعكاسًا لها، وصورة ناطقة عنها، ودائمًا ما تجده متأثرًا بظواهرها ولا يمكن أن يكون بمنأى عنها أو خارج حدود الإبداع التي تفرضها.

لذلك نلحظ أن علاقة الإنسان بالبيئة علاقة أزلية، فمنذ وجوده وهو في صراع دائم ويسعى جاهدًا نحو استغلال تلك العلاقة في تلبية حاجاته وزيادة المستوى المعرفي والفكري لديه، بل إنَّ من يتتبع نشأة العلوم والمعارف يلحظ تلك الحاجة المتمثلة في استناد أغلب تلك العلوم على عناصر الكون والطبيعة، والتي هي بطبيعتها موجهة لخدمة الإنسان ضمن نطاق بيئته، ونظرًا لاتساع الثقافة وتطور المستوى النفسي والفكري في ذلك العصر، ذلك المستوى

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

ساعد الشاعر كثيرًا على توليد المعاني ورسم الصور الفنية وتركيبها من عناصر لم تكن متداولة ومعهودة من قبل، الأمر الذي جعل من اتساع خيال الشعراء سمة بارزة في ذلك العصر، فالإنسان ابن بيئته مقولة شائعة وصحيحة ودقيقة حيث ((لا يمكن فهم الأدب فيها فهمًا حقيقيًا إلَّا إذا فهمنا البيئة التي كان الأدب نتاجًا لها))[١]. ومن هنا نجد البنيوي لوسيان غولدمان يرى أنَّ فهم النص الشعري ينطلق من فهم بنية المجتمع الذي ينتمي إليه الشاعر، بمعنى أنَّ النص بنية صغرى تنتمي لبنية كبرى هي بنية المجتمع، ولفهمه ينبغي فهم مكونات المجتمع.[٢]

وقد ذكر ابن خلدون بعض الفروق بين أهل المدن والبادية، وذكر تأثير البيئة على الإنسان وأنَّه خاضع لعوائد بيئته وما يألفه منها بقوله:((وأصله أنَّ الإنسان ابن عوائده ومألوفه، لا ابن طبيعته ومزاجه، فالذي إلِفَه في الأحوال حتى صار خُلقًا وملكة تنزل منزلة الطبيعة والجِبِلَّة، واعتبر ذلك في الآدميين تجده كثيرًا))[٣].

المبحث الثاني: علاقة البيئة بالذات الشاعرة وأثرها في قاموس الشاعر اللغوي وصوره الفنية:

المطلب الأول: دور البيئة في البنية التكوينية للذات الشاعرة وانعكاسها على بنيته اللغوية والفكرية:

١- البيئة الاجتماعية:

لا يخفى على أحد تلك الأهمية التي يلعبها الدور الاجتماعي في التأثير على سلوك الإنسان وألفاظه من خلال الوسط الذي ينشأ فيه، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك التأثير بقوله:((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه...))[٤] وفي ذلك إشارة إلى البيئة المحيطة به والواقع الاجتماعي الذي يفرض

(١) النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن اسماعيل الجناحي: ٤٦/١.
(٢) ينظر: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، لوسيان كولدمان:- ص٤٨.
(٣) مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون: ١٢٥/١.
(٤) صحيح البخاري، مُحَمَّد بن اسماعيل البخاري : ١٢٥/٢.

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

ارتداداته على الشاعر بشكل خاص وعلى الإنسان بشكل عام، فالبيئة الاجتماعية واحدة من تلك الظواهر التي أثرت كثيرًا في نتاج الشاعر، وهناك من النقاد من قال إنَّ فحولة الشاعر تتشكل وتختلف من بيئة إلى أخرى؛ لذلك قالوا إنَّ الإنسان ابن بيئته تؤثر فيه سلبًا وإيجابًا منذ مراحل حياته المبكرة شاء من شاء وأبى من أبى.

إذ عمد الشعراء إلى عكس بيئاتهم وجوانب المحيط الذي عاشوا فيه، ومن هنا تُعدّ البيئة عنصرًا أساسيًّا في تشكل أفكار الإنسان وتصوراته وسلوكه، بل وفي تنوع وتبدل صوره ومعانيه، ومن ذلك ما حدث مع علي بن الجهم حين وفد إلى المتوكل يتكسب بشعره كغيره من أقرانه في ذلك العصر، وقد كان الشاعر صاحب ألفاظ خشنة؛ كونه جاء من البادية والصحراء الجافية، فقال:([1])

انـــتَ كالكلـــبِ في حِفاظِـــكَ لِلـــوُدِّ ... وكـــالتَيْسِ في قِـــراعِ الخُطُـــوبِ
انـــتَ كالـــدَلْوِ لا عَـــدِمْناكَ دَلْـــواً ... مِـــنْ كِبـــارِ الـــدِلَا كثـــيرَ الـــذَنُوبِ

وقد أنكر حاشية الخليفة عليه ذلك المدح حين شبه الخليفة بالكلب والتَيْس، والخليفة فهم مغزى ذلك المدح وقوته، وفطن إلى رقة مقصده، وخشونة لفظه كون الشاعر قد جاء من بيئة جافية وهي البادية، وهو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله (من بدا جفا)[2]، ولعل عدم استغراب الخليفة من قول الشاعر وسط استغراب مَنْ حضر في مجلسه نابع من قناعته بأنَّ أعذبَ الشعر أصدقه، وأنَّ الشاعر ما رأى سوى ما شبه به لعدم المخالطة وملازمة البادية، فأمر له بسكن على ضفاف دجلة حيث الروض والأزهار والجواري، والنسيم العليل، والجسر قريب منه، وكان يخرج إلى أسواق بغداد حيث خضرتها ولطافتها، وأخذ النحاة والشعراء يجالسونه ويعاودون زيارته وقد أقام ستة أشهر على

(١) ديوان علي بن الجهم: ١٤٣
(٢) شعب الإيمان، للبيهقي: ٤٧/٧
(٣) ينظر: ديوان علي بن الجهم: ١٤٣

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

تلك الحالة.[١] فأرسل الخليفة بعد فترة في طلبه واستنشده ما كتب بعد هذه الفترة، فأنشد قصيدته التي يتغنى بها أغلب الناس حتى وقتنا الحاضر حتى أن المتوكل قال عنه: خشيت عليه أنْ يذوب رقة وصبابة، وهي من أرق الشعر وأعذبه، فقال:([٢])

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن ... سلوت ولكن زدن جمرًا على جمرِ
سَلِمْنَ وأسْلَمْنَ القلوبَ كأنَّما ... تُشَكُّ بأَطرافِ المثَقَّفةِ السُمرِ
أَزحنَ رَسيسَ القلبِ عن مستقرهِ ... وأَلهبْنَ ما بينَ الجوارحِ والصدرِ
فلو قبل أنْ يبدو المشيبُ بدأنني ... بيأسٍ مبينٍ أو جَنَحْنَ إلى الغدرِ
ولكنَّه أوْدى الشبابُ وإنَّما ... تُصادُ المها بينَ الشبيبةِ والوفْرِ
وبتنا على رَغْمِ الوشاة كأننا ... خليطانِ من ماءِ الغمامةِ والخمرِ
خليلي ما أحلى الهوى وأمره ... وأعلمني بالحلو منه وبالمرِ
كفى بالهوى شغلًا وبالشيب زاجرًا ... لو أنَّ الهوى ممَّا يُنَهنَهُ بالزجرِ
بما بيننا من حرمة هل رأيتما ... أرق من الشكوى وأقسى من الهجرِ
وأفصَحَ من عينِ المحِبِّ لسرِّه ... ولا سيما إنْ أَطْلَقَتْ عَبْرَةً تَجري
وما أنسَمِ الأشياءَ لا أَنسَ قولَها ... لجارتِها ما أولَعَ الحُبُّ بالحُرَّ
صِليهِ لَعلَّ الوَصْلَ يُحييهِ واعلَمِي ... بأَنَّ أَسيرَ الحُبِّ في أعظَمِ الأَسْرِ

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

فهذا التصوير البديع الذي أطلقه الشاعر إن دلَّ على شيء فإنما يدل على دور البيئة في بناء شخصية الشاعر وهيمنتها على قاموسه اللغوي وتصويره الفني، فالتحول الاجتماعي والانتقال من بقايا حياة البداوة بخشونة عيشها وقساوتها إلى حياة الترف ونعومتها، فضلًا عن التطور العلمي والثقافي الذي تغير تغيرًا واسعًا في ذلك العصر كان له الأثر البالغ في تطور صور الشاعر ومعانيه واتساع أُفُق خياله فالانتقال من الفاظ البداوة الخشنة المتمثلة بـ (الكلب- التيس- الدلو...) الى رقة الفاظ الحاضرة البارزة بين طيات هذا النص عكست إحساس الشاعر ببعد تلك الصلة بين البيئتين، فقد أصبحت البيئة القديمة بخشونتها بعيدة عن روح العصر الجديدة ومظاهر الحركة الأدبية، الأمر الذي جعل الشاعر على استعداد كبير لتقبل تلك التغيرات الثقافية والاجتماعية وحتى السياسية؛ ليتمكن من مواكبة حركة التطور التي لامست كل جوانب الحياة في ذلك العصر. فالكلمات ((تنقسم إلى حسن وقبيح بطبيعتها، إذ أحكام البيئة والمزاج والمودَّات تلون كثيرًا من كلمات اللغة بألوان من الحسن والقبح، لا يستطيع المرء أن يصرف ذهنه عنها))[1]. إذ عكست تلك الصور الفرق بين هاتين القصيدتين في فترتين مختلفتين من بيئتين متنافرتين في حياة الشاعر، وكذا فقد ساهمت بدور أكبر في إبراز دور البيئة وأثرها في نتاج الشاعر وقاموس ألفاظه.

فبروز شخصية الشاعر من خلال قصائده تأتي ضمن تكوينه البيئي الذي يستمد منه إبداعه الشعري، فهو يصور ويجسد دور بيئته في شاعريته في مختلف أغراض قصائده، وبالتالي نجد أنَّ هناك بالطبع انعكاسٌ كبيرٌ على تكوين تلك الشخصية الشاعرية، فصور الشاعر ومعانيه هي نتاج ذوقه وخياله، والبيئة هي التي تشكل ذوقه وتحدد أُطر خياله، حيث تظهر بيئات الأدب العربي دورها في تباين صور الشعراء ومعانيهم، فقد عاب بعض النقاد على أبي تمام قوله:[2]

رقيـــق حَواشـــي الحلـــمِ لـــو أنَّ حِلمَـــهُ بكفيـــكَ مـــا مارَيـــتَ في أنَّـــه بُـــرْدُ

(١) المرشد الى فهم اشعار العرب، عبد الله بن الطيب: ٣٩/٢.
(٢) ديوان ابي تمام: ٢٧٨/١.
(٣) ديوان الفرزدق: ٢/ ١٥٧.

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

بينما كانت العرب في البادية والصحراء تتفاخر بحلمها وشدة غضبها، وتتغنى بقول الشاعر:[١]

أحلامنـــــا تـــــزنُ الجبـــــالَ رزانـــــةً وتخالنـــــا جنًّـــــا إذا مـــــا نَغضَـــــبُ

هذان الموقفان من شاعرين مختلفين يعكسان دور البيئة وضلوعها في تكوين شاعرية الشاعر ولغته الشعرية، فأبو تمام حين أطلق خطابه أطلقه من بيئة اجتماعية تعكس رقة الحياة ورهافة الحس وعذوبة اللغة في تلك المرحلة، وليس من خيمة وسط الصحراء حيث صعوبة الحياة وخشونة الألفاظ، فهذا التفاوت في رقة الألفاظ بين الشاعرين لاشكَّ أنه نابع من الفرق بين البيئة التكوينية للشاعرين (البادية – والحاضرة)، فأثر العامل البيئي في الشعر قد تنبه له قدامى النقاد العرب، وما للبيئة من أثر في حقل الشاعرية ومدها بالصور والأفكار، لذلك أكد الآمدي على التزام الشاعر الحضري بعكس واقعه الاجتماعي، باستعمال ألفاظ أهل عصره وبيئته، لأنَّ من شأن ذلك أنْ يوقع الشاعر فيما هو ليس محمودًا، وأن يتجنب في شعره الوحشي من الألفاظ ((فمن شأن الشاعر الحضري أن يأتي في شعره بالألفاظ العربية المستعملة في كلام الحاضرة، وإن اختار أن يأتي بما لا يستعمله أهل الحضر... أنْ يجعله متفرقًا في تضاعيف ألفاظه ويضعه في مواضعه، فإن الكلام أجناس، وإذا أتى منه شيء مع غير جنسه باينه ونافره وأظهر قبحه))[٢]. تلك البيئة التي جعلت من الشعراء يتخذون اتجاهًا معاكسًا ويجعلون من البيئتين طرفي نقيض.

٢– البيئة العلمية والثقافية:

تُعدّ الثقافات الجديدة التي اطَّلع عليها الشعراء في تلك المرحلة من الدوافع الأساسية التي عكستها بيئة الحضارة وحياة التمدن على صور الشعراء ومعانيهم، وظهر أثرها في شعرهم شكلًا ومضمونًا، إذ شهد العصر العباسي الأول حركة ثقافية واسعة جدًا، ونشاطًا علميًا مزدهرًا لم يشهدوا مثله من قبل، تمثل بوقوفهم على الوان الثقافات والعلوم والمعارف، والتي دفعتهم إلى التعبير بما يتناسب وحجم ذلك الرقي الثقافي والتقدم العلمي، فبرزت سمة توليد المعاني نتيجة للتأمل العقلي والرغبة في الابتكار، تلك السمة كان لها اتصال وثيق بالعمق الثقافي وقوة الشاعر على تأمل الحياة وفهم تجاربها، مما جعل من تلك البيئة معينًا خصبًا للشاعر المتمكن من تلقي وحيها

---

(١) الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري– للآمدي: ١/٤٤٣–٤٤٤.

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

والارتقاء إلى مستواها الخالد في تاريخ الكلمة الفنية، ويعد أبو تمام رائد الشعراء في هذا المجال حيث كان يلقب بالشاعر العالم نتيجة معرفته بشتى العلوم وسعة خياله، من ذلك ما قاله في مدح أحمد بن المعتصم:(١)

إقــدامَ عَمْــرٍو في سماحــةِ حــاتمٍ في حلــمِ أحنــفَ في ذكــاءِ إياسِ

فالشاعر في هذا البيت أظهر مخزونه المعرفي والثقافي من اعلام المجتمعات التي سبقته بذكر مآثرهم بالشجاعة والكرم والحلم والذكاء فجمع كل الصفات الحميدة التي من الممكن أن يتغنى بها الشاعر، وحينما أراد الفيلسوف الكندي أنْ يحرجه أمام الأمير لإبعاده عن بلاط الخليفة قال له: وماذا أبقيت للخليفة فأطرقَ أبو تمام قليلاً ثم قال:(٢)

لا تنكــروا ضــربي لــه مــن دونــه مــثلًا شــرودًا في النــدا والبــاسِ
فــاللهُ قــد ضَــرَبَ الأقــلَّ لنــورِه مــثلًا مــن المِشْــكاة والنــبراسِ

تلك الصور الشعرية والسرعة البديهية للشاعر في الرد والقدرة على توليد المعاني أصابت الفيلسوف بالذهول فقال: أخشى على هذا الفتى أن لا يعيش طويلًا، كل تلك الصور والمعاني كانت ثمرة تلك البيئة والحياة الثقافية والعقلية في العصر العباسي، التي كانت بحق نقلة نوعية وإضافة حقيقية لمسيرة الأدب في ذلك العصر، تكللت بإدخال بعض المعاني المبتكرة تبعًا للتفسير الواضح في الحياة الاجتماعية ومواكبة التطور الثقافي والمعرفي في مجال الأدب بصفة عامة، ومعاني الشعر وصوره بصفة خاصة، فالشاعر أسعفته سعة علمه بمعاني القرآن الكريم وتفسيره، وكانت سببًا في تخليص الشاعر من ذلك الموقف المحرج له بين يدي الخليفة، فالتناص الذي لجأ إليه الشاعر من قوله تعالى ((اللهُ نورُ السمواتِ والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة الزجاجة كأنَّها كوكب دريٌّ...))(٣). كان مصدر وحي الشاعر وإلهامه، فضلًا عن دوره الكبير في إبراز دور البيئة العلمية التي نشأ فيها

---

(١) ديوان ابي تمام: ٢/٢٤٩.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٥٠
(٣) سورة النور– اية: ٣٥.

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

الشاعر وعكس ثقافة الشاعر العالية وقدرته على توليد المعاني والصور الشعرية البليغة، فقد شكلت بيئته الثقافية فضاءً رحبًا وأمدته بكل ما يحتاجه من مادة تستحق الوصف وتمنحه القدرة على التوليد والابتكار.

المطلب الثاني: أثر البيئة في البنية السلوكية للذات الشاعرة وانعكاسها على صوره الواقعية ومعانيه:

١ – البيئة الاقتصادية:

أصبحت الحياة الجديدة في العصر العباسي الأول مثيرًا قويًا للشعراء، فصوروا جوانب تلك الحياة في أشعارهم وعكسوا بيئاتهم بجوانبها المختلفة سواء أكانت سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، فخرجوا بموضوعات وصور شعرية من وحي الواقع المعاش، فنجد ارتباطًا وثيقًا ما بين أشعارهم والواقع والمنطق، فجاءت أشعارهم معبرة ومرتبطة بواقعهم أقوى ارتباطًا وأصدقه، وهذا ما جعل من الشعر أداة للتعبير عن الحياة الجديدة فيما لازمها من حياة النعيم والترف من جهة، ومن جهة أخرى ما تضمنها من بيئة اقتصادية صعبة عاش من خلالها الناس مرحلة جوع وفقر وعوز.[١] فتناول الشعراء من يقع فريسة الفقر في تلك البيئة التي بدت آثارها بادية للعيان من ضعف وانكسار وهزال، الأمر الذي دعا أولئك الفقراء لمراقبة موائد الملوك والأمراء والأغنياء، وتسليط الضوء عليها ووصفها بألم وحسرة تنم عن مدى قساوة تلك البيئة وصعوبة النظر بالنسبة لهم ولأبنائهم، الأمر الذي دعا علي بن الجهم لوصف تلك الموائد بقوله: [٢]:

صُحُون تُسافر فيها العيون ... تحسر عن بعد أقطارها
وقبّة ملكٍ كأن النجو ... مَ تفضي إليها بأسرارها
تخر الوفود لها سجداً ... إذا ما تجلت لأبصارِها
إذا لمعت تستبين العيو ... ن فيها منابت أشفارها
وإن أوقِدت نارُها بالعرا ... قِ ضاء الحجاز سنا نارها

(١) ينظر: حياة الشعر في الكوفة، د. يوسف خليف: ص ٦٨٨.

(١) ديوان علي بن الجهم : ص٢٩

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

لقد استحوذت ألفاظ الحسرة والألم في هذا النص على كيان الشاعر والتي بدورها تشير إلى البيئة الاقتصادية التي لعبت دورًا كبيرًا في توجيه صور الشاعر وألفاظه نحو الظروف القاسية التي عايشها وكانت تحيطه كغيره من الفقراء، فالشاعر لم يستطع ضبط مشاعر الألم الناتجة عن تلك المعاناة وهو يراقب تلك الموائد التي تزخر بأنواع الطعام وأجوده، بينما هو وأمثاله قد طحنتهم رحى الفقر والحرمان، تتجلى تلك الحسرة والقساوة من خلال طول تأمل الشاعر بتلك الموائد (صحون تسافر فيها العيون) وكأن عيون الشاعر في سفر طويل إذ توحي تلك المعاني ببعد المسافة المعنوية بين الشاعر وذلك النعيم، وقرب الحسرة والألم ومعايشته له وهو يراقب تلك الموائد وسعتها (تحسر عن بعد أقطارها) إذ جاءت تلك الصور معبرة بلسان حال طبقة تعاني أقسى أنواع الألم الذي فرضته تلك البيئة الاقتصادية والتفاوت الطبقي.

وهذا أبو المخفف عاذر بن شاكر ([1])– وكان في عصر المأمون وله أشعار في وصف الخبز[2] – قد بين مدى اتصال الشعر بالواقع الذي فرضته قساوة البيئة الاقتصادية التي انعكست على النتاج الأدبي في تلك المرحلة، تلك البيئة دفعته إلى أشبه بما يسمى التمرد على الخصائص الفنية للشعر العربي القديم، فقال:[3]

جانبت وصل الغانيات نعمت ... وصحوت عن وصل اللواتي
بهن عيون من ... واصلنه حتى الممات
فدع الطلول لجاهل ... يبكي الديار الخاليات
ودع المديح لأمرد ... ولخادم ولغانيات
وامدح رغيفاً زانه ... حرف يجل عن الصفات
يدع الحليم مدلها وكأنما ... حيران يغلط في الصلاة

(1)ينظر: ربيع ونصوص الأخبار، ٣/ ٢٤٤.(أبو المخفف عاذر بن شاكر البغدادي كان في زمن المأمون، كان ظريفا طيبا ويدور في بغداد فلا يمر بسلطان ولا تاجر ولا صانع إلا أخذ منه رغيفا أو كسرة خبز).

(٣) ينظر: كتاب الورقة لأبن الجراح: ص ١٢٢

(٤) المصدر نفسه: ص ١٢٣ – ١٢٤

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

نقـــــــــــــــش الرغيـــــــــــــــف ـــــــــف نجـــــــوم ليـــــــل طالعـــــــات
منـــــــــع الرغيـــــــــف ســـــــــفاهة تـــــــرك الرغيـــــــف مـــــــن الهبـــــــات

إذ لعبت البيئة الاقتصادية والوضع المعيشي الصعب الذي يعيشه الشاعر دورًا كبيرًا في إبراز هموم الشاعر، وفرضت هيمنتها على مجريات النص، فالشاعر بدا وكأنه يتمرد على الموروث القديم من الشعر وخصائصه الفنية، لا إنكارًا منه لذلك الموروث إلَّا أن الشاعر قد أصبح همه لقمة العيش، ورغيف الخبز هو من يستحق الوقوف في مراسمة وإسقاط معاناته وآلامه من خلاله، وما عاد الطلل يمثل له تلك الرمزية المعهودة، فالشاعر ((اضطرته تعاسته وبؤسه أن يتكفف الناس في بغداد، ويسألهم صباحًا ومساءً رغيفًا أو كسرة خبز وقلَّما كان يجد من يمد إليه يد شفقة أو رحمة))[1]. فالشاعر في هذا النص ركز على الجزء الأهم في النص وحاول جذب القارئ إليه الذي تمثل برزية العوز والحرمان (وامدح رغيفًا – نقش الرغيف نجوم–منع الرغيف سفاهة–ترك الرغيف..) ذلك التكثيف التكراري لمفردة (الرغيف) جاء ممتزجًا مع مشاعره فكان المسؤول عن كشف جوانب معاناة الشاعر المتمثلة بالفقر من جهة، ومن جهة أخرى فقد أظهرت قدرة البيئة التي عاشها في الاستحواذ على كيان الشاعر الذي لم يترك شيئًا يثير الوجدان والشجن إلَّا وأبحر في وصفه، حتى أصبحت مكانة الرغيف مقدسة في نفس الشاعر، فالحليم صاحب العقل اللبيب مشغولٌ فيه، فصور المبالغة التي عمد إليها الشاعر توحي بقساوة تلك البيئة والظروف الاقتصادية التي انشأ فيها قصيدته، مما دفعه إلى التعبير عن سوء حالته المزرية ضمن تلك البيئة التي أقل ما يمكن أنْ يقال عنها بأنها قاسية.

٢– البيئة السياسية:

وإذا ما انتقلنا إلى البيئةِ السياسية فإنَّنا نلحظ انعكاسها بشكل كبير على الصور الشعرية الثورية التي تدعو إلى الثورة والحرب والحماسة في قتال الولاة الذين أخذوا يضيقون على الفقراء والمحتاجين، وساهمت تلك البيئة في طغيانها على مجريات النص، تلك الصور تحقق للشعراء حضورهم واتصالهم ببيئاتهم وواقعهم المعاش كونها تمثل ردود أفعال

(١) الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور– د. شوقي ضيف: ص ٨٩

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

خاصة نحو مظاهر البيئة التي تمس كبريائهم، وبرز أبو الندى ([1]) كأحد المعارضين لتلك البيئة وأصبح متمردًا شديد الفتك وصاحب حركة عنيفة طويلة الأمد، وكان لتمرده صلة وثيقة بظلم عمال الخراج وتعسفهم في جباية الأموال والتضييق على الناس، حين تعسف والي مصر في زمن الرشيد الحسين بن جميل وأثقل على الفقراء، وكان سببًا في خروج هذه الفئة ودفعهم إلى التمرد والعصيان[٢].

تلك البيئة كان لها أبلغ الاثر في تحول الناس من بيئة آمنة إلى بيئة يملؤها العنف والقتل، وبدت آثارها جليَّة على صور الشاعر ومعانيه، وأنشد أبو الندى في تلك الواقعة قوله: [٣]

أقـــــول إذا الرفـــــاق بـــــدت لِـــــوجهي ... ألا حُلُّـــــــوا رِحـــــــالُكم وطِـــــــيروا
وإنْ لم تَتركوهـــــــــــا فاســـــــــــتَعدوا ... لحَـــــربٍ مثـــــل حاصِـــــبةٍ تغـــــورُ
أقـــــولُ لصُـــــحبتي كُـــــرّوا علـــــيهم ... فلـــــــيس يَهـــــــولُهم إلَّا الكُـــــــرورُ

فقد استطاع الشاعر في هذا النص أنْ يستحضر صور الحياة السياسية المليئة بالظلم والاضطهاد؛ الأمر الذي جعلها تعكس دور تلك البيئة في تكوين شخصية الشاعر وصوره الفنية، إذ تتضح في هذا المشهد الشعري من خلال بنيته التركيبية التي فرضت على النص صورة العنف والقتل، إذ مهد أسلوب الأمر لتلك اللغة التحريضية الداعية إلى الثورة والخروج على الحاكم الممثل لتلك الطبقة السياسية، تلك اللغة التي ظهرت معالمها بشكل واضح من خلال تلك الدلالات في معاني الألفاظ الممهدة للأمر (أقول–للرفاق) ثم تحضر الأساليب الطلبية بقوله (حلّوا– وطيروا– فاستعدوا–كروا) فالشاعر ركز على أُسلوب الأمر الطلبي لأن (الأمر من أشد الأساليب الإنشائية تأثيرًا في المتلقي؛

(١) ينظر: الولاة والقضاة، ١١٠/١. (من أهل الحوف مولى بَليَّ وكان في زمن الرشيد، خرج عن طاعة الأمير الحسين بن جميل حين تعسف في جمع الضرائب فأصبح صاحب حركة قوية في الصعلكة)

(٢) الولاة والقضاة مصدر سابق: ١١٠، وينظر: الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، د–حسين عطوان : ٧٥

(٣) الولاة والقضاة: ١١١.

(٤) الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف، د. هناء محمود شهاب : ٢٩

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

لما له من قوة في حسم الموقف والتشدد في الطلب ممَّا يؤدي إلى الاستجابة السريعة من لدن المتلقي) ([1]) تلك المعاني التي أظهرت هيمنة البيئة السياسية على مجريات النص، من خلال فحوى خطاب الشاعر لرفاقه بالثورة والاستعداد للحرب، بغية الخلاص من الظلم والجور المتمثل بشخصية (الحاكم والي مصر) وكذا فقد مثلت البيئة السياسية في ذلك الوقت دورًا كبيرًا في بروز صور الشاعر ومعانيه والتي أصبحت بمثابة المرآة التي عكست تلك المعاناة في ظل تلك البيئة من خلال إلحاح الشاعر على الأفعال المتضمنة معنى الأمر والخروج الذي جعل بنية القصيدة تسهم بالتفاعل الإيحائي الذي أدى غرضه الدلالي بصورة تامة في النص.

كما أنَّ للبيئة دور بارز في تكوين البنية السلوكية للشاعر والتحكم في غرائزه وميوله، ذلك الدور الذي لاشك سيبرز من خلال صوره الشعرية ومعانيه التي تعكس مسار بيئته الشعرية وطبيعتها، من ذلك ما بينه بكر بن النطاح ([2]) في قوله: [3]

ومَـــنْ يَفتقِـــرْ مِنَّـــا يَعِـــشْ بِحُسامِـــهِ ... ومَـــنْ يَفتقِـــرْ مِـــنْ سَـــائِرِ النَّـــاسِ يَسـأَلِ
وإنَّا لَنلْهـــوا بالسُـــيُوف كمـــا لَهَـــتْ ... عَـــرُوسٍ بِعقْـــدٍ أو سِـــخابَ قَرَنْفَـــلِ

فالجانب السياسي الذي فرضته السلطة في ذلك الوقت وجد تضاربًا وتنافرًا مع بيئة العز والإباء التي تربى عليها الشاعر وهي الصفة التي يتغنى بها العربي في حياته، لتبدو واضحة جلية في صور الشاعر ومعانيه وفرضت نفسها على مجريات النص، وأزاحت من مخيلته فكرة أنْ يسأل أو يتكفف الناس كغيره من الفقراء، فهذا الشاعر ومن هو على شاكلته لا يرضون من رزقهم إلاّ بحدِّ السيف، وهنا كان لأسلوب الشرط دورٌ بارزٌ في إيضاح دلالات ومعالم تلك البيئة التي فرضت نفسها على حياة الشاعر من خلال تلك الشروط التي وضعها الشاعر (من يفتقر منا يعش بحسامه) فالرافضون لتلك الظروف السياسية والثائرون أمثاله لا يمكن لهم سؤال عامة الناس ولا خاصتهم حين

([1]) ينظر: الأغاني، للأصفهاني ١١٣/١٩. (بكر بن النطاح الحنفي يكنى أبا وائل كان في زمن الرشيد، وكان صعلوكاً يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك فجعله أبو دلف من الجند وجعل له رزقاً سلطانياً وكان شجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام)

(٢) المصدر نفسه: ١١٣/١٩.

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

تطحنهم رحى الفقر والحرمان، بل هم يستخرجون قوتهم بحد السيف الذي يعد وسيلة استغنائهم عن الناس، في حين تجد غيرهم غرق بسؤال الرائح والغادي (ومن يفتقر من سائر الناس يسأل) فالشاعر لم يستطع التعايش مع تلك البيئة السياسية التي أشاحت بوجهها عنهم بل كان مرغمًا على التعامل معها بطريقته الخاصة التي أظهرتها معاني النص وأساليب الشرط التي اتبعها في عكس صورة تلك البيئة.

ومن الممكن أنْ يتغير مسار حياة هؤلاء الذين تمردوا على الطبقة السياسية، إذا ما حظوا بالبيئة المناسبة لحياة حرة وكريمة ممن يمثل الجانب السياسي من القبيلة أو الدولة والمساواة الاجتماعية اللائقة، ومعالجة الظروف والأسباب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي أنتجت ذلك السلوك، ولذلك تجد الكثير ممن تجردوا أول حياتهم للغارات والغزو والتمرد على السلطة وإلقاء أنفسهم في المهالك، قد تابوا وكفوا عن حياة العنف والتحقوا بالقادة في المعارك حين وجدوا عندهم مجالاً لإثبات فتوتهم وبطولاتهم.

وكان بكر بن النطاح خير من يمثل هؤلاء المتمردين والثائرين، وانضمَّ مع القائد أبي دلف العجلي وأجرى له راتبًا إذ لعبت البيئة الجديدة والحياة السياسية التي حصل عليها الشاعر واكتنفته بالرعاية والمكانة الاجتماعية اللائقة دورًا بارزًا في تغير لغة الشاعر وتبدل صوره الشعرية من العنف والدعوة إلى القتال إلى صور الحب وقصائد والغزل، فما لبث أنْ وقع بحب جارية يقال لها دُرَّة فتعلق بها كثيرًا وأخذ يذكرها في كثيرًا في أشعاره وحين علم صاحبها بذلك حجبها عنه فزاد تعلقه بها[1]. فقال:[2]

أَهـــلُ دَارٍ بَـــينَ الرِصَـــافَةِ والجِســـرِ ... أَطـــالُوا غيظـــي بِطُـــولَ الصُـــدودِ
عَـــذَّبوني بِبُعـــدِهم وابْتَلـــوْا قَلْـــبي ... بِحُـــزْنينِ طَـــارفٍ وتَليـــدِ
مـــا تَهَـــبُّ الشِـــمالَ إلاّ تَنفَّـــتْ ... وقَـــالَ الفُـــؤادُ للعـــيْنِ جُـــودي
قَـــلَّ عَـــنهُمُ صَـــبري ولم يَرحَمـــوني ... فَتَحَيَّـــرْتُ كالطَّريـــدِ الشَّـــريدِ
وكلتْني الأيَّامُ فيكِ إلى نَفْسي ... فأَغْيَيْتُ وانْتَهى مَجْهُودي

(١) ينظر: الاغاني، مصدر سابق: ١٢٤/١٩.
(٢) المصدر نفسه: ١٢٥/١٩.

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

ففي هذا النص نلحظ أثر البيئة الجديدة في الشاعر ودورها في تغيير لغة خطاب الشاعر وشخصيته بشكل عام، فتغيرت حياته ولغته الشعرية بتغير بيئته، وتحول من قاطع طريق لا يعرف إلَّا القسوة والسلب والنهب إلى قلب مرهف يفيض رقة وحبًا معذبًا بنار الحب شاكيًا قسوته، حين وجد تلك المكانة التي كان يطمح إليها، إذ لعبت البيئة دورًا بارزًا في تحديد علاقاته وتفكيره ومعيشته وسلوكه، فهي لا تشمل الجوانب المادية فقط من عناصر طبيعية، بل تتعدى إلى الجوانب غير المادية من سلوك وإرث معنوي، فهي شاملة لكل صغيرة وكبيرة، مبنية على علاقة تفاعلية مع الإنسان سواء أدرك ذلك أم لم يدرك.

الخاتمة

وهكذا نكون قد وصلنا بفضل الله وتوفيقه إلى نهاية هذه الدراسة الموسومة بـ (أثر البيئة في شعراء العصر العباسي الأول- صورٌ ومعانٍ) التي كان هدفها هو فك مغاليق وإشكالات متعلقة بمعنى البيئة ودورها في الشعر والشاعر ومعرفة مدى أهميتها فضلًا عن الوقوف على العوامل التي كان لها دورٌ هامٌّ في تشكلها داخل النص الشعري، وأشكال تمظهرها فنيًا وموضوعيًا، ذلك أن موضوع البيئة ذو أهمية قصوى؛ لأن الوجود الفعلي للنص الشعري لا يتحقق إلَّا داخل بيئة تتشابك فيها العلاقات والظروف، والسعي نحو فهمه لا يمر إلَّا من خلال استنطاق موضوعة البيئة التي قادتنا عبر هذه الدراسة إلى اكتشاف أهميتها، وأهمية وجودها في النص الشعري في العصر العباسي الأول، حيث خرجت هذه الدراسة بنتائج أهمها:

١- عند تتبعنا لنصوص الشعراء في ذلك العصر نلحظ أثر تلك البيئة في عقلية أولئك الشعراء؛ لأنها عكست ذلك الاتصال الوثيق بين الشاعر وتلك الثقافات بما ينسجم مع مظاهر البيئة الحضارية الجديدة، حيث اتساع الخيال نتيجة للتأمل العقلي واتساع الحياة الفكرية، كما شاعت الأفكار ذات الطابع الفلسفي والابتكار في الصور والمعاني التي تتواءم وحجم التطور الثقافي والفكري في ذلك العصر.

٢- تتشكل العملية الشعرية وعلاقتها بالبيئة عبر مكونات النص الشعري الذي يتحرك داخل النص وخارجه وهو ما يؤدي في النهاية إلى معرفة أنماط تشكل البيئة داخل النص الشعري واكتشاف فاعليتها وحركيتها؛ كون تشكلها هو تشكل معرفي ناتج عن علاقة البيئة بالشعر.

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

٣- اثبتت هذه الدراسة أن البيئة وسط حيوي لا غنى للشعر عنه ويُعدّ هذا الوسط رافدًا من روافد إبداعه فمن خلاله يحقق حضوره ويثبت وجوده عبر أنماط من التفاعل ما يؤسس لعلاقات متشابكة ومتداخلة ما بين الشعر والبيئة من خلال تأثير أحدهما في الآخر.

٤- تُعدّ البيئة من العوامل المهمة التي لها تأثير كبير في تعزير مدركات الشاعر الحسية بشكل أو بآخر كونها تشكل مصدرًا ملهمًا لخياله وإبداعه الشعري وتعزيز صوره وأفكاره.

٥- إنَّ الابداع الشعري يتحقق بتفاعل الذات الشاعرة مع بيئتها وأنَّ قراءة ماهية الشعر وفاعليته الحقيقية إنما تبدأ من عملية استنطاق البيئة عبر مكونات النص الشعري وتنتهي باستنطاق الشعر من خلال البيئة، وهي عملية وإن كانت ظاهريًا تحيل إلى حركة البيئة مقابل حركة الشعر إلَّا أنها في عمقها لا تتأسس إلَّا بوجود الذات الشاعرة التي تفعل من وعيها الشعري وفعلها الإبداعي نحو بيئتها وذاتها وشعرها الذي يمثل وجهًا من وجوه حضور الذات.

٦- تمثل البيئة بنية دالة يتمظهر من خلالها وعي الشاعر بذاته وبيئته من خلال بنيات عديدة موضوعية وفنية تشير في النهاية إلى علاقة الشعر بالبيئة التي تتسم بالتنوع والتشابك ومن أهم خصائص ذلك الشعر أنه متأمل للواقع، مدرك لوضع الذات فيه.

٧- الكشف عن مظاهر تشكل البيئة وتحديد أشكالها يقودنا إلى تحديد طبيعة النص الشعري ونوع تلك العلاقة الرابطة بينه وبين البيئة الناشئ فيها والتي تتنوع ما بين الانفعال والمواجهة والوصف وتفعيل الرؤى؛ مما يجعله نصًا متفاعلًا مع الواقع مصورًا له.

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

١. الأغاني، أبو فرج الأصفهاني(ت٣٥٦هـ) تحقيق، سمير جابر، دار الفكر- بيروت، ط٢/ ١٩٩٥م.

٢. البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: لوسيان غولدمان وآخرون، ترجمة، مُحَمَّد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان/ط٢/ ١٩٨٦م.

٣. البيئة ومفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، رجاء وحيد دويدي، دار الفكر، دمشق، ط/١، ٢٠٠٤م.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين- دار الهداية (ب. د).

٥. حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، د. يوسف خليف ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

٦. الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف، دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري، د. هناء محمود شهاب، المنهل للطباعة والنشر، عمان- الأردن، ٢٠١٤م.

٧. ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق، راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢/ ١٤١٢هـ، ١٩٩٤م.

٨. ديوان علي بن الجهم، تحقيق، خليل مردم بك، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٩. ديوان الفرزدق، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م .

١٠. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق، مُحَمَّد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت – ط١/ :١٤١٠.

١١. الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، د-حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، ط٤/ ١٩٩٧م.

١٢. الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، د. شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط٢/ ١٩٨٤م.

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993 / ISSN o.l: 2708-4000
Vol;2- Issue;1/ (2020-2021)

١٣. صحيح البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الشعب، القاهرة، ط١/١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.

١٤. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق، عبد الله علي الكبير و مُحَمَّد أحمد حسب الله و هاشم مُحَمَّد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة (ب. د).

١٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م .

١٦. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م.

١٧. المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد المجذوب (ت: ١٤٢٦ هـ) دار الآثار الإسلامية، وزارة الإعلام الصفاة، الكويت، الطبعة الثانية، ، ١٩٨٩ م.

١٨. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق السيد احمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٢/ ١٩٩٤ م.

١٩. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م.

٢٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق، عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م.

٢١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مجموعة من المؤلفين) دار الدعوة (ب. د)

٢٢. النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ الأزهر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ، مصر– الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م.

٢٣. الورقة، أبو عبدالله مُحَمَّد بن داود بن جراح (ت٢٩٦هـ) تحقيق، عبد الوهاب عزام، وعبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط٣/ ١٩٨٦م

٢٤. الولاة والقضاة، ابو عمر يوسف بن يعقوب الكندي (ت٣٥٥هـ) مُحَمَّد حسين مُحَمَّد إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/ ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

Doi:10.37940/RJIS. 2021.2.1.4